**الأدب المقارن سنة ثالثة.....(أ.حميدة سليوة)**

## محاضرة:

# مدارس الأدب المقارن

### 1-*المدرسة التاريخية(الفرنسية):*

المدرسة الفرنسية، ويعود إليها وضع الأسس والمبادئ الأساسية للأدب المقارن، وكانت الاتجاه الوحيد والسائد في الدراسات المقارنة، وهي المحتضنة لميلاد الأدب المقارن في القرن التاسع عشر، وبقيت الاتجاه الوحيد في هذا المجال إلى خمسينيات القرن العشرين.

وجد هذا التوجه في ظروف تاريخية وثقافية غذتها النزعة إلى الانفتاح ونبذ الانعزالية التي دامت في فرنسا مدة طويلة، وهذا ما زاد من اطلاع الفرنسيين –أدباء ودارسين– على الآداب الأخرى والأوروبية خاصة، ونشاط عملية الترجمة التي ساهمت في الاطلاع على مختلف الآداب وزيادة الصلات الأدبية بين فرنسا وما جاورها من أمم، وظهور الصحف والمجلات التي ساهمت في نشر نصوص لأدباء أجانب، ومن المميز في هذه المدرسة أنها ترعرعت في كنف الدراسات التاريخية والفيلولوجية التي بلغت ذروتها آنذاك، لهذا سميت "**المدرسة التاريخية**"، فقد اهتمت بادئ الأمر بتاريخ العلاقات الأدبية الدولية كما يقول ماريو فرنسوا غويار[1].

يعد كتاب غويار المذكور آنفا تلخيصا لأهم أسس ومبادئ وموضوعات المدرسة الفرنسية، ظهر عام 1951، أبرز لكنه تلخيص لجهود دامت قرابة القرن من الزمن ساهم فيها الدارسين الفرنسيين للأدب المقارن، أمثال بالد نسبرجر وبول فان تيغم وبول هازار وجون ماري كاريه، حيث بفضلهم تأسس الوعي المنهجي المقارن، حيث اتفقوا على موضوع الأدب المقارن الأساس هو "دراسة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة اللغات"، حتى عرفه غويار بـ:« **الأدب المقارن هم تاريخ العلائق الأدبية الدولية، فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات، والفكر، والكتب، والعواطف بين أدبين أو عدة آداب**»[2]، فالباحث بهذا ملزم بتتبع

---

1غويار(ماريو فرنسوا): الأدب المقارن، تر: هنري وغيب، منشورات عويدات، ط2، بيروت باريس1988، ص15

2- غويار(ماريو فرنسوا): الأدب المقارن، ص 15.

حركة المبادلات الأدبية بين الشعوب، وعملية انتقال الموضوعات والأفكار والتيارات والمشاعر والكتابات وحتى الأجناس خارج حدود الأدب القومي، كانتقال حركة الشعر الحر من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية.

أهم الأسس والمبادئ في المدرسة الفرنسية:

- التأثير والتأثر: دراسة مواطن التلاقي بين الآداب المختلفة دراسة تاريخية، لهذا لا تدخل في مجال المقارنة دراسات التشابه والتقارب.
- دراسة التأثير لا تعنى بظواهر المحاكاة والتقليد، ولا تعني علاقة التأثر إعجابا وانبهارا قد تكون رد فعل أو معارضة.
- الأدب المقارن متمم ضروري لتاريخ الأدب وهو فرع منه.
- اشتراط إثبات الروابط التاريخية بين الآداب المختلفة كشرط لإجراء المقارنة، لهذا لابد من صلات تاريخية أكيدة تثبت تأثر أحد الآداب بالأخر.
- اختلاف اللغة شرط أساسي في إجراء المقارنة، فلا تجوز مقارنة الأدب القومي، بآداب تكتب بلغته القومية نفسها.
- التمركز على الأدب المؤثر واعتبار عملية التأثير معيار تفوق، في حين التأثر عملية سلبية وبالتالي دراسة نتيجة التأثير على مستوى الأدب المتأثر.

ساد هذا المنهج في الدراسات المقارنة قرابة قرن من الزمن، ومع سنوات الخمسين بدأت الآراء النقدية المعارضة تطاله من داخل فرنسا وخارجها، وهكذا بدأت الأطراف المعارضة تشكل توجهات خاصة بها داخل أطار الأدب المقارنة، ولعل أشد موجدة نقد تعرض لها التوجه الفرنسي كانت من أمريكا فيما يسمى بـ: أزمة الأدب المقارن، حيث تحولت هذه الانتقادات بالتدريج إلى توجه مستقل سمي بـ المدرسة النقدية(الأمريكية).

## 2-المدرسة النقدية(الأمريكية):

حمل أعلام المدرسة الأمريكية التجديد إلى مناهج دراسة الأدب المقارنة، متخذين من نقد ومعارضة المدرسة التاريخية في صياغة أسس وأساليب البحث المقارن في الأدب، لهذا يمكن القول أن هذه المدرسة انبثقت من قلب المدرسة الفرنسية وعارضتها، وتهدف إلى تجديد الأدب المقارن وإعطاءه بعدا إنسانيا ينأ به عن الحدود اللغوية التي وضع فيها سابقا.

تعرضت دراسات التأثير والتأثر بالمعنى التقليدي للكثير من النقد من طرف التيار المقارن الجديد، ومنهم كان رينيه وليك، في محاضرته بالمؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن في أمريكا، فكانت اعتراضاته كما يأتي:

-عدم وجود تحديد واضح لموضوع الأدب المقارن، واستثناء دراسات التوازي والتشابه.

-عدم التركيز على العمل الأدبي بل على العلاقات التاريخية، حيث تحضى الوسائط والعلائق التاريخية بأهمية تفوق العناصر الأدبية.

-النزعة المحورية والاندفاع بعوامل قومية، وهذا ما يتعارض مع عالمية وإنسانية الأدب.

وكانت هذه النقاط منطلق لميلاد توجه جديد في الدراسات أطلق عليه صفة"النقدي"، وكان هذا التوجه مرتبط بالتحولات المعرفية وبكل ما جلبه القرن العشرين من تطور في مجال النقد والدراسات الأدبية، سعت إلى دراسة النص الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته، أي الاهتمام بنصانية النص وجمالياته لا بتاريخيته، وهكذا جاء تعريف هنري ريماك أحد أقطاب هذه المدرسة:« **دراسة الأدب بحيث تتعدى الدراسة حدود القطر الواحد، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية، وبين مجالات المعرفة والمعتقدات الأخرى كالفنون والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتة، والأديان من ناحية ثانية**»[1] ، وبهذا يتحرر الدارس المقارن من قيود كثيرة منها الدراسات الأدبية/ الأدبية ويتوسع الموضع ليضم المقارنة مع الفنون ومجالات المعرفة المختلفة، والقيد الثاني هو شرط" اختلاف اللغة"؛

1-وليك(رنيه): مفاهيم نقدية، تر: عصفور(محمد)، عالم المعرفة، الكويت 1987، ص317.

حيث أن هذا الشرط كان يستثني أي مقارنة بين أدبين مشتركين في لغة واحدة، كالأدب الفرنسي والكندي المكتوب بالفرنسية مثلا، حيث أن التعريف السابق لا يشترطه إطلاقا بل يبقى على الاختلاف الثقافي بين الدول.

**مبادئ وأسس المدرسة النقدية:**

-عدم التوقف عند تاريخ الأدب بل التوغل في جوهر النص الأدبي، بالاهتمام بالقيم الفنية للنص الأدبي، وإعطاء النقد الأدبي ونظرية الأدب دور في فعل المقارنة.

-عدم التمحور على الأدب القومي، وتقسيم الآداب إلى مركزية وهامشية.

-توسيع المقارنة لتشمل المقارنة بين الأدب من جهة وأصناف المعارف العلمية والفنية من جهة ثانية.

- عدم اشتراط ثبوت العلاقة التاريخية بين الآداب، وتوسيع مجال الأدب المقارنة ليشمل دراسة التشابه والاشتراك(الأدب العام)، وعدم حصره في دراسات التأثير والتأثر.

***3-المدرسة السوسيولوجية (السلافية):***

واحدة من التجارب الهامة في مجال الدراسات المقارنة، وأن جاء ظهورها متأخرا بالنظر إلى التوجهين السابقين، وكان ظهورها نتيجة تضافر بين الفكر المقارن والنظرية الماركسية، القائلة بأن : الأدب هو جزء من البناء الفوقي للمجتمع، فهو يتغير ويتطور وفقا للبناء التحتي، زيادة إلى أن لكل مجتمع أدبه ومميزات أدبه المختلفة عن آداب الشعوب الأخرى، ولكل طبقة من المجتمع أدبها الخاص.

كانت ندوة بودابست عام 1962، والمؤتمر الخامس للجمعية العالمية للأدب المقارن في بلغراد 1967، دور الكبير في ظهور هذا التوجه المقارن، ومدرسة تركز على أهمية التشابهات النمطية بعيدا عن شروط التأثير والتأثر، وهو تأريخ متأخر نوعا ما، حيث أن الأدب المقارن وجد صعوبة في الوصول إلى دول روسيا وأوروبا الشرقية، لعدة أسباب تاريخية منها فترة حكم ستالين مورس الضغط على الحركات الأدبية لكي تكون شيوعية خالصة، فلا

يمكن للأدب إلا أن يكون أداة في يد الدولة، وأن يكون مرتبطا بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، وهكذا كانت الستالينية تنظر غلى الكثير من الحركات الحداثية (الغربية) بالكثير من الازدراء، وهذا ما لاقاه الأدب المقارن بمؤتمر موسكو 1960، حيث وجهت الكثير من الانتقادات لمفهوم الأدب المقارن ومناهجه.

لهذا كانت نشأة الأدب المقارن في الاتحاد السوفياتي مشروطة بتكييفه مع الفلسفة الماركسية، التي تربط الظاهر الأدبية بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وتعطي هذه المدرسة أهمية كبيرة لدور التاريخ في معرفة دور المجتمع والصراع الطبقي في الأدب وأجناسه: «**سيؤدي فالتشابه الاجتماعي–السوسيولوجي– إلى ظهور أدب أممي (نمطي) متشابه**»[1]، لهذا سميت هذه المدرسة بالسوسيولوجية، فهي ترى أن التأثير يكون بين بين البنية التحتية نحو البنية الفوقية، أما التشابه بين الآداب فهو ناتج عن تشابه الظروف الاجتماعية والسياسية لمجتمعات هذه الآداب.

## أسس ومبادئ المدرسة السلافية:

–تطعيم الأدب المقارن بالفكر الماركسي والنظرية المادية الجدلية، وهذا ما سمي فيما بعد بـ" علم اجتماع الأدب المقارن".

– النزعة الإنسانية التي تنظر إلى آداب العالم كأنها وحدة مشتركة، بموضوعات مشتركة ومشكلات واحدة.

–تسليط الصوء على تجربة أدب روسيا وأوروبا الشرقية، والعالم الإسلامي وأدب أفريقيا وآسيا

–تسليط الضوء على الصراع الطبقي باعتباره مؤثر قوي في موضوعات الأدب، وفي استقبال الآداب الأجنبية.

– الاهتمام بدراسة التشابه والاشتراك بين آداب الشعوب، والابتعاد عن دراسات التأثير والتأثر

–الدعوة لتوظيف والاستفادة من مختلف المدارس الأدبية والنقدية في الدراسة المقارنة للأدب.

1-علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، المركو الثقافي العربي المغرب، ط1، 1987، ص133